مجلة جامعة التنمية البشرية / المجلد 2. العدد 4 .كانون الاول 2016: ص ص 75-106
DOI:10.21928/juhd.20161225.03, e-ISSN: 2411-7757, p-ISSN 2411-7765

دوافع التدخل الروسي في الأزمة السورية

م.د.الناصر دريد سعيد
جامعة السليمانية/ كلية القانون والسياسة

م.م لقمان حكيم رحيم
جامعة التنمية البشرية/كلية القانون والسياسة

المقدمة

جاء التدخل الروسي في قضية سوريا بصفحته العسكرية بمثابة الصدمة للكثير من المحللين والباحثين، وإذا كان الباحثون قد رصدوا المشاكسة الروسية للغرب في القضية السورية منذ اندلا ع اعمال الثورة فيها باعتبارها نوعاً من العرقلة التي أصبحت من سمات السياسة الخارجية الروسية زمن الرئيس بوتين تجاه الغرب، فإن أحداً لم يكن يتخيل ان يبلغ التورط الروسي الى حد المشاركة الفعلية في القتال لمنع سقوط نظام بشار الاسد، رغم ان إشارات موسكو السابقة وطريقة إتخاذ القرارمن إدارة بوتين كان ينبغي ان تعطي جرس إنذار كاف لكل الأطراف حول استعداد هذه الإدارة الى التورط الى أقصى المديات بناءً على رؤية شخص واحد فقط يجلس عل قمة عرش الكرملين منذ حوالي العقد!!

والواقع ان بوتين لم يقتحم الميدان السوري كما تصور الكثيرون كتحدي مباشر للإدارة الامريكية، لكنه في الواقع استجاب لرسائل واشنطن المعلنة والمضمرة عن رغبتها في الانسحاب الجزئي من الشرق الأوسط منذ توقيعها لإتفاقية انسحابها من العراق أواخر عهد الرئيس دبليو جورج بوش، وهذا ما دفع إدارة بوتين الى الانخراط في ما رأته ملئ للفراغ الظاهر بعد هذا الانسحاب، وقد تحولت استراتيجية بوتين في المنطقة من الدخول لتخفيف الضغط الواقع على موسكو بسبب أحداث اوكرانيا الى الدخول في قلب المنطقة لأهداف تتعلق باستعادة النفوذ السوفيتي السابق وبناء زعامة بوتين في السياسة الدولية.

ويؤكد البحث أن اسباب الدخول الروسي للشرق الاوسط وسوريا على وجه التحديد يتركز حول نقطتين:

أولاً:- ان هذا الدخول جاء بهدف ملئ الفراغ الناتج عن الخروج الطوعي الجزئي للقوة الامريكية من الشرق الاوسط وتحديداً من الهلال الخصيب (العراق ،سوريا، لبنان)

ثانياً:- ان هذا الدخول لم يكن له هدف أو مصلحة روسية إلا لغرض إستعادة مناطق هيمنة سوفيتية قديمة في هذه البلدان وتثبيت زعامة الرئيس فلادمير بوتين ودغدغة مشاعر العظمة القومية لدى الشعب الروسي.

يحاول هذا البحث الاجابة عن الاشكالية التالية: ماهي الدوافع الحقيقية وراء التدخل الروسي في الشرق الاوسط والقضية السورية؟ وهل ان مصالح روسيا هي الأساس في هذا التدخل أم ان هناك عوامل داخلية في قلب الشرق الاوسط جذبت الروس الى قلبه لأسباب تتعلق بشخصية القيادة الروسية وسعيها لاثبات ذاتها في الساحة الدولية؟

حيث أن فرضية البحث ستتمحور حول الفكرة التالية: ان روسيا اتخذت موقفها الحالي من القضية السورية بناءً على ضعف وتراجع الدور الامريكي من جهة ولأحياء النفوذ السوفيتي السابق في المنطقة رغم تحول الظرف الدولي بعيداً عن اجواء في الحرب الباردة والتي حكمت التواجد السوفيتي في الشرق الاوسط آنذاك.

اهداف البحث:

يهدف البحث الى دراسة العوامل الاساسية وراء الاهتمام الروسي الأخير بمنطقة الشرق الأوسط وسوريا بشكل خاص.

منهجية البحث :

وقد تم الاعتماد على منهجية التحليل التاريخي في المبحث الثاني، وكذلك منهج التحليل المقارن بالنسبة لمجمل البحث بالإضافة الى منهج التحليل النفسي في إتخاذ القرار في الجزء الثاني من المبحث الثاني.

وقد تم اعتماد الهيكيلة التالية:

المبحث الأول:الدوافع المتعلقة بالشرق الاوسط

المطلب الاول:أزمات المنطقة

المطلب الثاني:الانسحاب الامريكي من المنطقة

المبحث الثاني :الدوافع المتعلقة بروسيا

المطلب الأول :اهمية الشرق الاوسط للدولة الروسية

المطلب الثاني:أزمة البحث عن دور

الاستنتاجات والخاتمة

المبحث الاول

الدوافع المتعلقة بالشرق الاوسط

سادت إبان الحرب الباردة فكرة مفادها أن أنهيار الإتحاد السوفيتي يعني نهاية التاريخ وانتصار الديمقراطية الليبرالية عالمياً. وهذا التوجه عبرت عنه أطروحة الباحث الامريكي ذو الاصل الياباني فرنسيس فوكوياما Francis Fukuyama في كتابه نهاية التاريخ وخاتم البشر(١) لكن تعدد نقاط التوتر وانتشار الحروب في العديد من مناطق العالم بين العديد من الدول والمنظمات جاء لينفي هذا الطرح ويؤكد أن نهاية الحرب الباردة ما هي الإبداية لعهد جديد تحكمه قواعد وقوانين أخرى.

وبالمقابل جاءت أطروحة صموئيل هنتنغتون Samuel Huntington القائلة بـ"صدام الحضارات" لتعيد النقاش مرة أخرى حول مستقبل العلاقات بين الدول وطبيعتها، فحسب هذه الأطروحة فإن عالم ما بعد الحرب الباردة لن تكون فيه أكثر الصراعات أنتشار أو أهمية وخطورة بين طبقات اجتماعية غنية وفقيرة أو جماعات أخرى على أسس أقتصادية ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة(٢).

فقد اعادت أطروحة صدام الحضارات الجدل الفكرى حول دور العامل الديني والثقافي في النظام الدولي، ما بين جماعة تفسر كل ما يأتي من الآخر في إطار الصراع والصدام والعداء الديني وبين طرف آخر يجعل البراغماتية الاقتصادية هي المنظم الوحيد لهذه العلاقة.

ويذهب هنتنغتون الى ان الصراع هو السمة الأهم على المستوى الدولي مؤكداً "أن الأمم تحتاج إلى عدو" وأن ذهاب هذا العدو يوجب البحث عن عدو آخر، وسوف يكون العدو المثالي لأمريكا عدواً أيدولوجياً ومختلف ثقافياً وعنصرياً وقوي عسكرياً بما فيه الكفاية لكي يفرض تهديداً يعتد به للأمن القومي الأمريكي. ولهذا كانت النقاشات في مجالات السياسة الخارجية في التسعينات تدور إلى حد كبير حول ماهية هذا العدو.

(١) فرانسيس فوكوياما، (نهاية التاريخ وخاتم البشر)، ترجمة حسين احمد أمين، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ص٦١.

(٢) صموئيل هنتنغتون، (صدام الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي)، ترجمةمالك عبد أبو شهيدة، محمد محمود خلف، الدار الجماهيرية والتوزيع والإعلان، ١٩٩٩طرابلس، ص١٤.

وكانت أحدى النقاشات الدائرة داخل أروقة السياسة الخارجية الأمريكية بأن هناك احتمال ان يعود التهديد السوفيتي في صورته القومية، كما جاء ايضاً تصور الصين بإعتبارها عدواً محتملاً، وسرعان ما ظهر الخطر الجديد والفعلي (وليس الاحتمالي) في افغانستان واعتبرت الدوائر الامريكية ان الجماعات الأصولية الإسلامية مثل طالبان وتنظيم القاعدة، هي تهديد فعلي لاسيما بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ثم جاءت الحرب على الإرهاب، لكي تجعل الاسلام المتشدد عدو أمريكا الأول في القرن الواحد والعشرين(١).

وظهرت الولايات المتحدة كقطب أوحد بعد ان عزز الظرف الدولي من تفردها في العالم من خلال ظهور النظام الدولي الجديد التي تزعمته بنفسها. وكان المناخ العالمي مناسباً، إذ ان روسيا كانت تعاني من ضعف وأنهيار الداخلي (وخصوصاً قبل تولي بوتين زمام السلطة أي في زمن بوريس يلتسين) حيث كانت روسيا الاتحادية تعاني من حالة تبعية للولايات المتحدة الامريكية، بحكم ظروفها الاقتصادية والامنية المتردية فيما الصين مشغولة بعمليات بنائها الاقتصادي.

وقد استندت الولايات المتحدة ولا تزال على القوة بمفهومها الواسع وعملت على توظيف مختلف قدراتها ووسائلها وادواتها لتعزيز دورها في النظام الدولي وجاءت ترتيباتها لأحتلال أفغانستان والعراق بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول في ظل تبريرات مختلفة.

المطلب الأول: ازمات المنطقة

بعد مجي فلاديمييير بوتين بدأت عمليات ترميم القوة الروسية والتي ترافقت مع بناء سلطته داخلياً بعد مرحلة يلتسين وكان الشرق الاوسط من أهم الميادين التي جذبت اهتمام موسكو بسبب الازمات التي مرت بها هذه المنطقة والتي تحولت الى عوامل جذب.

أولاً: الدور الروسي في أزمة البرنامج النووي الايراني

تأثر التعاون الامريكي – الروسي بخصوص منع انتشار الاسلحة النووية، ولاشك كثيراً بسبب حرب القوقاز، وتشكلت لدى روسيا قناعة بأن المزيد من التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية ودول الاتحاد الأوروبي لن يفيدها في فرض المزيد من الضغوطات وممارسة النفوذ على طهران بسبب ملفها النووي، ولذلك أتخذت روسيا قرار توسيع دعمها للبرنامج النووي الايراني بذريعة ان هذا الدعم موجه للبرنامج المدني ولاغراض غير عسكرية. وأصبح لدى روسيا مواقف وأولويات خاصة، تختلف تماماً عن مواقف وأولويات الولايات المتحدة الامريكية والناتو بهذا الخصوص.

(١) صموئيل هنتنغتون، (من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا)، ترجمة أحمد مختار الجمال، المركز القومي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٣٣٢.

إذ أصبح موقف روسيا بشأن البرنامج النووي الإيراني اكثر تأثراً بحالة العلاقات الأمريكية الروسية من تأثره بتهديد خرق حظر الانتشار الفعلي الذي تشكله جهود طهران[١]. أي ان موسكو اصبحت تلعب دوراً (ابتزازياً) للغرب فيما خص الملف النووي الايراني لاسيما بعد أن وجدت روسيا في سياسة الحياد الإيرانية تجاه أزمات البلقان، والقوقاز كأزمة أرمينيا–أذربيجان، وقضية الشيشان، ما هدأ من مخاوفها من احتمالية تصدير ثورتها الإسلامية الى هناك*، فالصراعات والاضطرابات القومية القائمة في جورجيا وأرمينيا–أذربيجان، وطاجكستان وأفغانستان كانت كُلها تهدد و تزعزع استقرار النفوذ الروسي وهذا ما يؤدي بروسيا إلى السعي وراء حماية الأقليات في دول المنطقة، وتأكدت روسيا أن لإيران مصلحة أساسية في الأستقرار لان طهران فضلت علاقات طيبة مع موسكو على ان تثير عداوتها بأي سياسة اخرى.

بذلك قرر الجانبان في أن يصبح التعاون الروسي–الايراني عاملاً رئيسياً في احتواء أي أزمة قد تندلع في تلك المناطق. كانت تلك هي الخلفية التي أدت إلى توطيد علاقات التعاون فيما بين البلدين خاصة في المجال التجاري والعسكري.

ورغم ان فكرة الانتقال إلى الانماط الاقتصاية على المستوى الدولي، لم تؤثر في السياسة الخارجية الإيرانية بصفة كاملة، فاننا نرى أن ايران قامت بتوقيع اتفاقيات تعاون بينها و بين كل من روسيا والصين وصلت الى مداها منذ عدة سنوات (الصين لمدة ٢٥ سنة بدأت منذ ٢٠٠٤، وكذلك روسيا التي تعتبر الشريك التجاري الأول لإيران)، لكنها أستمرت في نفس الوقت بتطوير أسلحتها سواء التقليدية أو النووية (سعيها للحصول على التقنية النووية)[٢]، رغم سلبيات هذه المساعي على مصالحها الاقتصادية.

(١)حبيبة زلاقي،" تأثير التحولات الدولية لما بعد الحرب الباردة على السياسة الخارجية الايرانية"، رسالة ماجستير في العلوم السياسية فرع العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية غير منشورة، جامعة الحاجى لخضر–باتنة، جزائر، ٢٠١٠، ص٩٤.

* الحقيقة أن النفوذ الإيراني كان محدوداً دينياً بسبب ضعف الطائفة الشيعية في تلك المناطق (ما عدا أذربيجان و طاجكستان)، مما حدى بطهران الى استبعاد اثارة حفيظة موسكو من هذا الاحتمال والاستفادة من هذه الازمة الناشبة بين المجتمع الدولي والاقليمي (الشرق اوسطي) من جهة و بين ايران من جهة اخرى من خلال لعب دور (ابتزاز) كما اسلفنا للطرفين الايراني و العالمي–الاقليمي مما عزز من دور إيران.

(٢)كارينا فايزولينا، (العلاقات الايرانية الروسية في ظل التقارب مع واشنطن)، ترجمة محمود محمد الحرثاني، مركز الجزيرة للدراسات (ملفات) الدوحة، أبريل/نيسان ٢٠١٤، ص٦٥.

ورأت موسكو أن طهران صديقة لروسيا في أوقات الحاجة من خلال المساعدة في تعزيز السلام والاستقرار على سواحل بحر قزوين وفي آسيا الوسطى، والحد من تدخل بلدان اخرى في شؤون تلك المناطق، ودرء أنتشار الثورات الداخلية ومكافحة الارهاب، ونتيجة لذلك، قررت موسكو عدم مواجهة طهران بشأن المسألة النووية[١]*.

وتكون لدى روسيا نوع من الرغبة المحمومة بالظهور مجدداً على الساحة الدولية بأنها تستطيع أن تعود دولة عظمى، لكن الجانب التعاوني لموسكو مع الاعضاء الآخرين في مجموعة الدول الخمسة دائمة العضوية في مجلس الأمن زائداً المانيا لاينبع من رغبة خالصة لتسوية القضية النووية الإيرانية، وإنما من محاولة لكسب الاعتراف من واشنطن بأهمية دورها كقوى عظمى (وليست مجرد قوة كبرى).

وتنظر موسكو إلى المسألة النووية الايرانية على إنها تندرج ضمن إطار صراعها لنيل ما تريد وعلى مدار العشرين عاماً الماضية، ظلت روسيا تلعب بورقة إيران من أجل كسب النفوذ في تعاملاتها مع واشنطن.

ثانياً:- الانسحاب الامريكي الجزئي (العراق) من الشرق الاوسط

يمكن القول ان الانسحاب الامريكي من العراق دشن بداية مرحلة جديدة من تاريخ العراق سياسياً وأمنياً واقتصادياً، و وضع العراق بل والمنطقة على مسار جديد تماماً كما وضع منظومة الأمن في العراق في اختبار جديد[٢]. إلا أن تداعيات الانسحاب الامريكي لم تكن بالأمر الهين ويمكن أن نوضح أثر الانسحاب الامريكي من العراق في خمسة تحديات واجهت العراق[٣]:-

١-فعلى الرغم من شكل الحكومة الائتلافي بزعامة نورى المالكي الا ان إدارة البلاد وصل الى وضع سلبي، فرغم ارتفاع عائدات النفط لم يتحسن تقديم الخدمات والاقتصاد وإدارة الدولة والامن بل وعلى

---

(١) نيكولاى كوزهانوف، مقالة نشرت في معهد واشنطن في ١٩ ابريل/نيسان ٢٠١٢ تحت عنوان (موقف روسيا بشأن برنامج إيران النووي) . (The Washington institute for near east policy) للمزيد انظر الرابط التالي:-
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/russian-relations-with-iran-dialogue-without-commitments.

*نيكولاى كوزهانوف، شغل منصب ملحق في السفارة الروسية في طهران في الفترة ٢٠٠٦-٢٠٠٩المصدر نفسه.

(٢) أحمد السيد تركي، أعراض ما بعد الاحتلال: التداعيات السياسية والأمنية للانحساب الامريكي من العراق، مجلة السياسية الدولية، الاهرام، القاهرة، ١/يناير/٢٠١٢.

(٣) جوست هيلترمون، "ما وراء الانسحاب الامريكي من العراق" مجلة القدس العربية، ديسمبر، ٢٠١٢، أنظر:
http://www.crisisgroup.org/en/regions/middle-east-north-africa/iraq-iran-gulf/iraq/op-eds/beyond-us-withdrawal.aspx

العكس أصبح الفساد مستشرياً في كل مفاصل الدولة، الأمر الذي أدى الى ظهور أشكال من الاحتجاجات الشعبية متقطعة هنا وهناك جاءت كصدى للربيع العربي في العراق(١).

٢-زادت ملامح الانقسام السياسي على نحو عميق، فبرغم وجود الائتلاف الحاكم لكن حلفاء المالكي كانوا بالأسم فقط، بسبب تفرده بالقرار واستبعاد حلفاءه حتى المقربين منهم ناهيك عن خصومه مما خلق حالة شلل سياسية ومخاوف حقيقية من ولادة دكتاتورية جديدة.

٣-ازدادت الصراعات ذات الطابع القوماني بين بغداد وأربيل، نتيجة الممارسات الخاطئة للمالكي. وحصلت توترات كانت كافية لتصعيد الحوادث المحلية وتحويلها الى صراع مفتوح، فتارة يكون النزاع حول الأرض والسلطة وتارة أخرى حول الموارد النفطية نتيجة للقرار الذي اتخذته شركة (إكسون موبيل) بتوقيع عقد مع حكومة إقليم كوردستان، واعتبرته بغداد غير قانوني وفقاً للدستور.

٤-ازدياد حمى التعبئة الطائفية بين انصار المالكي (الشيعة) وبين القيادات السنية المختلفة مما زاد التوتر الطائفي لاسيما بعد قرار المالكي بقمع المظاهرات والاعتصامات في المحافظات السنية بالقوة(مما فتح المجال أمام داعش لاحقاً للدخول على الساحة).

٥- إزدياد النفوذ الاقليمي بين إيران من جهة وتركيا ودول الخليج من جهة ثانية، الأمر الذي أدى الى أزدياد حمى التنافس بين الطرفين واندلا ع الحروب بالوكالة.

ثالثاً: تأثير ثورات الشرق الأوسط (الربيع العربي)* على الدور الروسي في المنطقة

شهدت المنطقة العربية في السنوات الماضية ما لم تشهده طيلة عقود طويلة. فبعد أن ظل العالم العربي خارج موجات التغير والتحول الديمقراطي. بدأ العالم العربي يشهد تفكك بنية النظم السلطوية فيه بفعل ما جرى من انتفاضات شعبية بداية في تونس ومصر، ثم في ليبيا، والأردن، والبحرين، واليمن، والعراق، وعُمان والمغرب والجزائر والسعودية.

(١) للمزيد من حول مظاهرات العراق في ٢٠١١ أنظر: الاحتجاجات _العراقية https://ar.wikipedia.org/wiki/2011

* رغم هذا المصطلح تعبير عن مصطلح اعلامي، وقد يراه البعض انه ليس مصطلحاً دقيقاً لتغطية ما جرى في الدول العربية إلا أنه تستخدم هذه العبارة للتعبير عن المظاهرات والاحتجاجات التي اجتاحت معظم الدول العربية.

لكن التطور الاخير الذي أثر بشكل كبير في استقرار المنظومة السلطوية في العالم العربي، مرتبط بتصاعد دور الفاعلين الدولين والاقليمين في السياسات الداخلية لدول المنطقة في السنوات الأخيرة. إذ دعمت قوى دولية وإقليمية مبادرات تخل باستقرار النظام العربي القائم وبالنظم السلطوية في المنطقة، خاصة تلك التي تبنت مواقف مناهضة للولايات المتحدة. وحتى النظم "المعتدلة" تعرضت لضغوط خارجية متزايدة خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر، والربط بين الارهاب وغياب الحريات لإدخال اصلاحات سياسية، وإطلاق الحريات السياسية المدنية.

مهدت هذه الظروف تصاعداً في تنامي نفوذ قوى إقليمية صاعدة، مثل إيران وتركيا. وبدأت تؤثر بشكل ملحوظ في مجريات الأمور في العالم العربي[١]. وما شهدتهُ المنطقة من انتفاضات غير مسبوقة، هزَ المعادلات التقليدية ومايرتبط بها من نفوذ اللاعبين الدوليين فيها أيضاً من جديد، لاسيما النفوذين الاميركي والروسي.

١- تباين المواقف الأقليمية والدولية إزاء تطورات ما بعد الانتفاضات

لقد خلقت الثورات العربية واقعاً سياسياً جديداً في جميع دول المنطقة، حتى تلك التي لم يمر بها ربيع الشعوب العربية، فقد رأت دول الخليج العربي أن الثورات العربية قامت دون أي أرتباط بالثورة الإسلامية في إيران، الأمر الذي عكس تراجع جاذبية التجربة الإيرانية برأيهم كما أختلفت قراءة كل من الرياض وطهران حول الاحداث فقد رحبت طهران بالتغير في مصر، بينما بدت الرياض غير متحمسة إلى التغير هناك، بل وحاولت تأخيره وتغييره عن مساره*.

أما بالنسبة لإيران فقد كان واضحاً أن لديها قراءة مختلفة حول ما يحدث في كل من سوريا والبحرين، وبالنسبة لما يجري في سوريا ومن وجهة نظر الحكومة الايرانية فقد رأت ان الحراك السياسي لم يكن في جزء كبير منه إلا مؤمراة مرتبطة بموقع سوريا كدولة "مقاومة" وعلى هذا الأساس فإن من لا يدعم النظام السوري وسياساته —بالنسبة لإيران– إنما يتماهي مع تلك المؤامرة[٢]،بينما لاتطبق ايران هذه القراءة على البحرين، الذي اعتبرت طهران حراكها أمراً مشروع.

وكذلك الحال بالنسبة للقوى الاقليمية ذات النفوذ القوي في المنطقة مثل تركيا، والتي اصبحت الداعمة الرئيسية للثورات العربية، (لاسيما تلك التي أخذت طابعاً اسلامویاً سنیاً) في ظل هذا الوضع وجدت روسيا نفسها وجهاً

(١)دينا شحاتة، مريم وحيد، (محركات التغير في العالم العربي)، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، المجلد ٤١، العدد ١٨٤، أبريل ٢٠١١، ص ١٠.

* دعمت الرياض بقاء مبارك في البداية ثم استقبلت التغير بفتور بعد ٢٥ يناير خصوصاً مع وصول الاخوان للسلطة لكنها عادت ورحبت بسلطة انقلاب ٣٠ يونيو ودعمت السيسي ومازالت بالنسبة لموقف السعودية من الاحداث في مصر .

(٢)محجوب الزويرى، (العلاقات الايرانية السعودية في ضوء الملفات الساخنة في المنطقة)، تقرير صادر عن مركز الجزيرة للدراسات، ٩مايو/آيار، ٢٠١٢، الدوحة ص٥. للمزيد انظر:http://studies.aljazeera.net/ar/profile/151008142418359.html

لوجه مع تركيا في موقف معاكس تماماً، مدافعة عن الانظمة القديمة ممثلة بالديكتاتوريات العربية على غرار النظامين الليبي والسوري[١].

فالقراءة الروسية للاحداث والتحولات التي اجتاحت المنطقة تؤكد أن مناطق النفوذ الروسي اصبحت مهددة، إذ رأى صناع القرار في موسكو ما حصل في ليبيا من إنهاء حكم القذافي باعتباره طعنة للنفوذ الروسي بعد أن جرى التوسع في تفسير قرار مجلس الأمن الدولي ١٩٧٣، من حماية المدنيين إلى تحرك عسكري لإسقاط الزعيم الليبي معمر القذافي. و دفع هذا التطور الدولي موسكو إلى التحرك بكل ثقلها لإنقاذ النظام السوري، والحيلولة دون إسقاطه ومحاولة لانتزاع اعتراف بنفوذها التقليدي، ولم تقبل موسكو أن تعمل قوى إقليمية ودولية على تثبت نفوذها في منطقة الشرق الأوسط دون أن يكون لها إسهام فيه، والقراءة الأهم لدى روسيا كانت تؤكد أن قوى التغير الأساسية في المنطقة محسوبة على ما يعرف بـ"الاسلام السياسي" ولموسكو موقف تقليدي متحفظ من حركات هذا الاتجاه من حيث المبدأ، ولا ترتاح لها، إذ ترى في صعودها خطراً على استقرارها وأمنها القومي في ظل تنامي عدد المسلمين في روسيا الاتحادية. كما ترى موسكو ان الاستهداف الذي تتعرض له دول ما يُعرف بمحور "الممانعة" من قبل قوى التغير من شأنه أن يقوض نفوذها وينتزع منها فرصه المساهمة في صياغة النظام الإقليمي الجديد الذي سيعقب هذه التحولات التي تجتاح المنطقة[٢].

كما جاء التراجع الأوروبي في مواجهة تحديات الثورات العربية عاملاً اخر مضاف لإغراء موسكو بالتحرك، إذ ان الاتحاد الاوروبي ومنذ نهاية الحرب الباردة في مطلع تسعينات القرن العشرين ما يزال يختبر مرحلة إعادة تشكيل جديد، والذي شهد ومنذ بداية القرن الحادي والعشرين، أوروبا كقوة اقتصادية عالمية وكيان سياسي آخذ في التشكل والنمو. ورغم ان هذا الصعود الاقتصادي لم يواكبه صعود عسكري مماثل، فإن اوروبا عملت على تأكيد مكانتها السياسية كواحدة من أهم القوى الكبرى، دون الامتلاك واقعياً قوة التأثير في أية مرحلة انتقالية من حالات الثورات العربية تأثيراً فعالاً بأستثناء الحالتين التونسية والليبية، وذلك نظراً لحجم اقتصادهما وكثافة علاقاتها التجارية وتأثيراتهما الامنية على دول الاتحاد الاوروبي. وكانت الثورات العربية كاشفة عن تأزم عناصر القوة الأوروبية وتراجع قدرتها النسبية على التأثير مقابل قوى كبرى أخرى[٣] كروسيا.

---

(١)جلال الورغي،(الأزمة الروسية التركية محددات التاريخ والجغرافيا والتطلعات لأدوار جديدة)، مركز الجزيرة للدراسات،الدوحة، ١٦ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٥، ص٨.للمزيد انظر الرابط الالكتروني :

http://studies.aljazeera.net/ar/profile/151008142418359.html

(٢) نفس المصدر، ص٩.

(٣) أثر الثورات العربية على التحولات في هيكل النظام الدولي "تحولات إستراتيجية" مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٩٠، أكتوبر ٢٠١٢، ص٦٠.

المطلب الثاني: الازمة السورية والكاشف الحقيقي للدور الروسي

منذ عودة الرئيس فلاديمير بوتين إلى رئاسة الأتحاد الروسي في مارس ٢٠١٢، لاحظنا ان هناك حركة روسية بدأت بعد المرحلة الأولى التي تولى فيها الحكم خلال الفترة من ديسمبر ١٩٩٩ وحتى مايو/٢٠٠٨ كما أشرنا إليها في المبحث الأول. وكان أبرز ملامحها استعادة بعض قواعد الأشتباك السياسي والدبلوماسي، وربما العسكري على الساحة الدولية.

لكن الازمة السورية غدت واحدة من الساحات التي مثلت اختباراً للتوجهات السياسة الروسية الجديدة، خصوصاً أثر حالة الفوضى التي ضربت النظام الدولي بعد بوادر انسحاب الولايات المتحدة الامريكية وضعف تأثيرها على تفاعلاته، وبالأخص التفاعلات ذات الطابع الصراعي، ودور هذا الانسحاب في انتشار حالة عدم الاستقرار في كثير من المناطق بعد غياب التوازن الدولي الذي أرسته الزعامة الامريكية منذ مطلع تسعينات القرن الماضي.

لاشك ان موسكو اعتبرت سوريا ساحة مهمة لاختبار الطموح الروسي، وقد كشفت الأزمة حتى الآن عن نجاح روسيا في اقتناص هذه الفرصة، وذلك على النحو التالي:[١]

١-أتخذت روسيا منذ اندلاع الأزمة في سوريا موقفاً سياسياً قاطعاً برفض تغيير النظام في سوريا أو السماح بتدخل إقليمي أو دولي يسهم في هذا التغير، خاصة في ضوء اعتمادها في السنوات الأخيرة على بقاء نظام بشار الأسد في اثبات نفوذها في الشرق الأوسط، مما يجعلها غير متقبلة لتحمل النتائج المتوقعة في حالة سقوط النظام، في وقت اصبحت المراهنة على بقاء بشار الاسد ذو طابع شخصي بالنسبة للكرملين[٢].

٢-أتخذت موسكو على عاتقها تقديم دعم كبير للنظام شمل تزويده بالدعم المادي والعسكري والسياسي والدبلوماسي، وذلك لتعزيز قدرته على مواجهة الأزمة وأتخذ هذا الدعم الصورة العلنية بما يحمله ذلك من دلالات معلنة بوجه كل القوى الدولية والاقليمية.

٣-وفرت روسيا حماية دولية تمثلت بحماية النظام السوري، بالافلات (حتى الآن) من مغبة كل المحاولات العربية أو الدولية لمحاسبته على جرائمه و لإدراج أزمة سوريا في إطار عملية دولية تنهي الأزمة.

---

(١) محمود حمدي أبو القاسم، (أبعاد التدخل العسكري في سوريا)، دراسة نشرها المركز العربي للبحوث والدراسات، الدوحة، ١٨/نوفمبر ٢٠١٥.

(٢) ممدوح عبدالمنعم، (روسيا تنادي بحق العودة على القمة)، ٢٠١٠، بلامكان الطبع والنشر ، ص٤٦٩.

وقد بدا هذا الامر من خلال الاستخدام المكثف الروسي لحق الفيتو في مجلس الأمن فيما يخص الأزمة السورية، بل والإصرار على عدم طرح أي مشروع بيان يهدد حليفها في سوريا، وذلك دون النظر إلى حجم المأساة الإنسانية الحاصلة في ذلك البلد.

وبفضل هذا الدعم المتواصل نجحت روسيا في حماية النظام السوري من السقوط، بل وحتى الإدانة الدولية وبالطبع لاتنفصل الحركة الروسية تجاه سوريا عن الحركة المتصلة بالصراع الروسي/ الأمريكي – الغربي في أوكرانيا وجزيرة القرم وشرق أوكرانيا، ومن ثم يبدو اتساع التحرك الروسي تجاه سوريا استكمالاً للمعركة الحقيقية بين هذه الطرفين في ساحات اخرى [1].

فمقاومة سوريا للضغوط الأمريكية، تقوم على العمل على تفكيك آثار العزله عبر بناء شبكة من العلاقات الإقليمية والدولية لتؤمن لها حرية الحركة بعيداً عن مسار السياسة الامريكية والغربية، لذا كان التوجه الى روسيا أحد أهم محاور السياسة الخارجية السورية.

وقد تزامن مع هذا التحرك السوري للخروج من الضغوط والعزله تحولات استراتيجية مهمة على الساحة الروسية أيضاً. حيث سعى الرئيس بوتين الى محاولة استعادة مكانة روسيا العالمية بعد سنوات من العجز بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبعد أن تمكن من تحقيق الاستقرار الداخلي.حيث بدأت روسيا رويداً رويداً استعادة نفوذها في منطقة الشرق الأوسط، علاوة على ما كانت تدعيه روسيا من تزايد الضغوط والمخاطر الاستراتيجية الناتجة عن توسع الناتو شرقاً في مناطق النفوذ السابقة للاتحاد السوفيتي، بالاضافة إلى مشروع الدرع الصاروخي الذي يمثل(حسب رؤية بوتين) أحد هواجس الأمن القومي الروسي.

ولقد عكست المواقف الدولية على واقع الانتفاضة الشعبية حالة التنافس الدولي على سوريا، فروسيا تراهن على بقاء النظام لأن عملية التغير في سوريا مضرة بمخططاتها للنفوذ في الشرق الاوسط، حيث تمثل خسارتها لسوريا خسارة لأخر اقوى معاقلها في الشرق الأوسط، لأن روسيا تعتقد أن التدخلات الامريكية الغربية منذ انتهاء الحرب الباردة في البلقان وأفغانستان والعراق وليبيا مثلت تهديداً لكل طموحات موسكو بالارتقاء والعودة لمسار الدولة العظمى، لهذا تصر على عدم السماح بالتدخل الدولي في سوريا وتبدو وكأنها بصدد إحداث تغير قسري في طريقة تعاطي النظام الدولي مع الأزمات والصراعات لاسيما تلك التي لها صلة مباشرة بها.

(١) محمود حمدي أبوالقاسم ، مصدر سبق ذكره.

وبناءً على تلك الركائز والعلاقات المتطورة بين روسيا والنظام السوري أصبح من الصعب جداً على روسيا القبول بتغيير سياسي في سوريا من دون ان تكون لها اليد الطولي فيه ويحرمها من طموحاتها السياسية والعسكرية. وهذا بدا بوضوح في موقف روسيا من تطورات الأزمة في سوريا منذ بدايتها في مارس/ آذار ٢٠١١.

أن موقف روسيا من الأزمة السورية غيّر مفاهيم حركة التفاعلات الأقليمية المتركزة بشكل واضح منذ الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣.

ولقد أستفادت روسيا ومعها نظام بشار الأسد بصورة رئيسية من تزايد حدة الصراع العسكري في سوريا ودخول جماعات متطرفة على خط الصراع أهمها تنظيم "داعش" الذي أعلن دولته على مساحات جغرافية متسعة من سوريا والعراق، وتراجع قوة المعارضة المعتدلة.

الأمر الذي أسهم في خلط أوراق الأزمة، وبدأت مراجعات مهمة غربية وأمريكية فيما يخص طريقة التعامل مع الأزمة.

وبدت ان هناك أولوية موحدة لكل الاطراف لمواجهة التطرف الذي يتمدد ويكتسب جغرافية وأنصاراً، وبدأ يمثل تهديداً للاستقرار ليس داخل سوريا والعراق فحسب في المنطقة والعالم برمته.

ورغم فشل (مجموعة أصدقاء الشعب السوري)[1]، بما فيها الدور التركي البارز في إسقاط نظام بشار الاسد، إلا ان محاولات الجهود العربية التي وجهتها دول الخليج العربي في وضع قضية سوريا على قائمة أهتمام دول العالم، جعلت النظام السوري معزولاً، إلا من علاقات مع عدد محدود من الدول أهمها، أيران، وروسيا، والعراق، وحزب الله اللبناني.

إلا أن موقف روسيا(والى جانبها الصين في مجلس الأمن) حال دون تكرار نمط التدخل الذي حدث من قبل في ليبيا وصربيا، الأمر الذي قاد الى البحث عن بديل التدخل الدولي لتغير النظام السوري الذي راهنت عليه المعارضة

(١) مجموعة أصدقاء الشعب السوري أو مجموعة أصدقاء سوريا (Firends of Syria) مجموعة دولية تشكلت لدعم المعارضة السورية ضد النظام الحاكم وتتكون من سبعين بلد من البلدان العربية والأوربية والولايات المتحدة وتركيا بالإضافة لمنظمات الدولية مثل الجامعة العربية وكان الرئيس الفرنسي السابق (ساركوزي) هو أول من دعا لتأسيسها وكان أول مؤتمر للمجموعة في تونس ٢٠١٢، ثم المؤتمر الثاني في تركيا في نفس العام، أنظر:

Charlie Skelton (The Syrian Opposition: Who's doing the the taking), The Guardian, 12 July 2012, London.

السورية وأدى لفشل القوى الأقليمية وفي مقدمتها تركيا التي طرحت نفسها مراراً كدولة مهيأة للمشاركة في عمليات حفظ السلام و"إنشاء المنطقة الآمنة"مع بعض الدول مثل السعودية وقطر(١).

وادى كل ذلك الى الوصول إلى صيغة غير حاسمة وهي ما يسمى بالمرحلة الانتقالية في سوريا وذلك وفق بيان (جنيف١) في ٣٠/تموز ٢٠١٢، وهذه الصيغة عدت بداية نجاح روسيا في إحباط مشروعات التغير الشامل في سوريا.

ومنذ ذلك التاريخ، انتقلت الجهود الاقليمية والدولية في سوريا من مرحلة الضغط المتصاعد باتجاه رحيل الاسد الى الخلاف حول تفسير بيان(جنيف١) الملتبس حول تسوية الازمة في سوريا.

فبينما تصر المعارضة السياسية والفصائل المسلحة مدعومة بموقف عربي وغربي وامريكي بأنها مرحلة انتقالية لادور للأسد فيها ، ترى روسيا ان التفسير القانوني لبيان (جنيف ١)، يشير صراحةً إلى تشكيل هيئة حكم انتقالي يتم من خلالها الاتفاق بين المعارضة والنظام على نوع من اقتسام السلطة.

ومن ثم يجب أن يكون النظام جزءاً من هذه الهيئة التي تدير المرحلة الانتقالية وكان هذا وراء فشل مؤتمر (جنيف ٢) الذي عقدت جولاته خلال فبراير/ ٢ ومارس/ ٣ - ٢٠١٤(٢).

وقد أصبح واضحاً للعيان الدور المهم لروسيا والذي تمكنت بموجبه من نقل النقاش حول النظام الجديد في سوريا إلى نقاش حول حدود دور الاسد في المرحلة الانتقالية، ونتيجة إصرار أطراف الصراع على رهاناتهم الصفرية في مسألة بقاء الاسد أو رحيله أتجه الصراع في الداخل نحو التصاعد لتحقيق مكاسب فعليه على الأرض، وخصوصاً بعد التدخل الروسي في المعارك، وطبعاً على حساب المعاناة والويلات والمآسي التي عانى ويعاني منها الشعب السوري يومياً. الأمر الذي عزز من موقف كل طرف عند (جنيف ٣) الذي لن يختلف عما سبقه من المؤتمرات التي فشلت نتيجة تعنت الأطراف بسبب اختلاف الرؤى القائمة والمشاركة في المؤتمر خصوصاً الاقليمية والدولية .

من هنا أستطاعت روسيا ان تفرض وجهة نظرها في سوريا على المجتمع الدولي. عبر تكتيكات مختلفة سببها اصرارها من جهة والانسحاب الامريكي من جهة ثانية.

---

(١)بولنت آراس وأخرون، (التحول التركي تجاه المنطقة العربية)، دراسات، عدد ٦٠، لمركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ٢٠١٢، ص٤٢.

(٢) محمودحمدي أبوالقاسم،المركز العربي للبحوث والدراسات،١٨/نوفمبر٢٠١٥ .

المبحث الثاني: الدوافع المتعلقة بروسيا

من المؤكد ان هناك اسباباً لروسيا نفسها في التدخل بالشرق الأوسط بغض النظر عن دواعي المنطقة نفسها، ويفترض ان هذه الاسباب كانت ستدفع روسيا للتدخل في هذه المنطقة حتى لو لم تتواجد الاسباب التي ذكرناها في المبحث الأول وقد قمنا بتقسيم هذا المطلب الى مطلبين وهما:

المطلب الأول: أهمية الشرق الاوسط للدولة الروسية

غالباً ماتربط الرؤية عند الباحثين والمحللين المصالح الروسية في الشرق الأوسط بقضية مايسمى بـ(المياه الدافئة) حتى أصبح هذا المصطلح مرادفاً بديهياً عند كل حديث عن علاقة روسيا بالشرق الأوسط، في حين ان هذا المصطلح يشير الى حقيقة جغرافية تاريخية بعيدة نسبياً عن الشرق الاوسط.

إذ انه و منذ ان بدأت الامبراطورية الروسية بالنمو على عهد بيتر الاكبر ١٦٧٢-١٧٢٥ أدرك الأخير ان القوة البحرية (آنذاك) كانت هي عماد بناء الأمبراطوريات الكبرى لكن المشكلة ان روسيا كانت دولة برية في الاساس وقد وصلت في توسعها الى البحار الشمالية التي كانت منجمدة في اغلب أشهر السنة، الأمر الذي كان يحول دون قدرتها على الاستفادة منها ملاحياً، لذلك نشأ مصطلح البحث عن البحار الدافئة التي تستطيع ان تؤمن ملاحة جيدة لسفن الاسطول الروسي طوال السنة ولم تكن المياه المقصودة سوى البحر الأسود الذي كانت تسيطر عليه آنذاك الدولة العثمانية، ومنذ مطلع القرن الثامن عشر بدأت مساعي روسيا العسكرية في الوصول لشمال البحر الاسود وقبل ان ينتهي ذلك القرن كانت روسيا قد حققت هدفها من خلال جعل ازوف مقراً لأسطولها في البحر الأسود.[١]

ومنذ ذلك الحين تمددت روسيا باتجاه الولوج الى البحر المتوسط وانتهت أزمتها في هذا المجال آنذاك لاسيما بعد ان حلت التكنولوجيا الحديثة كل نواقص الجغرافيا وامكاناتها المحدودة وبشكل نهائي[٢]، وبالتالي فإن استخدام مصطلح

---

(١) كان ذلك من خلال معاهدة كوتشوك كينارجى kucukkaynarcyفي عام ١٧٧٤ في مدينة بهذا الإسم (أسمها الأن كينار دزا kaynardzha في بلغاريا) وجاء توقيعها بعد هزيمة الدولة العثمانية في معركة كازلودجا kazludzha وبذلك انهت حرباً استمرت منذ ١٧٦٨ مؤشرة بدء انهيار العثمانيين امام الروس وقد وقعها عن الروس بيوتر روميانتيف رئيس هيئة الأركان الروسية فيما وقعها عن العثمانيين احمد رسمي (الكريتي) افندي، للمزيد آنظر:

Aburrahimozer ,The Ottoman-Russian War Between the years 1774-1787) MastersThesis submitted to the Department of International Relations in Bilknet University, Ankara, 2008.

(٢) تضم القوة البحرية الروسية الحالية (التي تأسست على يد بيتر الاكبر) عدة أساطيل هي اسطول الشمال (في بحر الشمال) واسطول المحيط الهادي واسطول البحر الأسود واسطول بحر البلطيق واسطول (Flotilla) بحر قزوين والاسطول الجوي التابع للبحرية والصواريخ المضادة للطائرات وللغواصات (ASW) وللسفن، وبرغم حرص روسيا على عدم اعطاء رقم دقيق لقوتها البحرية إلا انها

(المياه الدافئة) لتبرير الاهتمام الروسي بالشرق الاوسط، هو قضية خاطئة جغرافياً وتاريخياً وليس لها محل على ارض الواقع.

لكن روسيا ابدت اهتماماً تاريخياً ايضاً بالشرق الاوسط لاسباب دينية واضحة[1]. كان الغرض منها فرض نوع من التدخل الرسمي لحماية الاقليات المسيحية لاسيما الارثذوكسية منها في الدولة العثمانية وجاءت في خضم التنافس

تملك اليوم حسب التقديرات حاملة طائرات واحدة وأربعة سفن مقاتلة كبرى وخمسة عشر مدمرة واربعة طرادات وواحد وثمانين سفينة مقاتلة صغيرة وتسعة عشر حاملة جنود بحرية وتسعة سفن ذات اغراض خاصة وثمانية عشر سفينة دورية وخمس واربعين سفينة إزالة الغام وثلاثة عشر غواصة تحمل صواريخ باليستية وسبعة غواصات ذات صواريخ حربية وثمانية عشر غواصة هجومية (SSN) وواحد وعشرين غواصة هجومية نوع (SSK) وغواصتين ذات اغراض خاصة، علماً ان بحار الشمال المنجمدة والتي بسبب صعوبة العمل فيها ظهر مصطلح (المياه الدافئة) اصبحت شيئاً من الماضي، لأن الاسطول الشمالي الروسي، والذي تأسس منذ عام ١٩١٦ (آنذاك كان اسيطيل المنطقة القطبية) وهو اليوم مسؤل عن حماية شمال غرب روسيا وله نقاط دخول الى المنطقة القطبية وشمال المحيط الأطلسي من خلال بحر بارينتز (بين اسكندنافيا والمنطقة القطبية) والبحار النرويجية وهذا الأسطول يدير اليوم اكثر من مائتين غواصة بالأضافة الى الطائرات والسفن والطرادات والقوات البرية ... الخ. أنظر:

Vladimir Rodyuhin (Russian Navy launches massive upgrade Drive). The Hindu Newspaper, Tamil nadu, India, 31/7/2012.،Hindu Group publisher, Chennai

والواقع ان مصطلح (المياه الدافئة) هو مصطلح فني ملاحي بالاساس نحته أقلام الكتاب لاغراض سياسية غامضة، وتعود الفكرة بالاساس الى مصطلح ميناء المياه الدافئة (worm-water port)وهو الميناء الذي لاتتجمد مياهه أوقات الشتاء رغم وقوعه في مياه منجمدة وينطبق هذا الوصف على موانئ معينة في البحار الباردة مثل ميناء داليان (Dalian) في الصين وموانى فوستوشي Vostochuy ومورمانسك Murmansk وبيترو بافلوفسك كامتشاتسكى Peter Apavlovsk- Kamachatsky في روسيا وميناء أوديسا Odessa في اوكرانيا وكوشيرو Kushiro في اليابان العملاقه أوائل القرن العشرين للمزيد انظر:

Gaius Publius (Anew Crimean War? Vladimir Putin, Peter the Great and the Quest for a Warm-Water Port) America blog in 3/3/2014 America blog. Com /2014 / 03 / new – Crimean – war – Vladimir Putin – peter – great – warm.

(١) منذ سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين في ١٤٥٣ أصبحت روسيا هي زعيمة الكنيسة الشرقية (الارثذوكسية) واصبحت تدعي روما الثالثة على اساس فكرة ان روما الاولى هي روما ايطاليا نفسها، بينما كانت روما البديلة أي الثانية هي القسطنطينية وهاهي موسكو تصبح روما (الثالثة) للمزيد أنظر:

Will Van Den Birchen (Holy Russia and Christian Europe East and West in the Religious Ideology of Russia) ScmPress, London, 1999, p.132

الاستعماري آنذاك لتقسيم تركة الدولة العثمانية فيما عرف حينها بالمسألة الشرقية[١]، والتي لم تنته إلا بانهيار الدولتين الروسية والعثمانية في الحرب العالمية الاولى، وبذلك انتهت تلك الاسباب بقيام الانظمة العلمانية في كلا من روسيا (الاتحاد السوفيتي) وتركيا على حد سواء بحيث أختفت تماماً الاعذار والاسباب الدينية بهذا الصدد، وهكذا أنطفأ الاهتمام الروسي بالشرق الاوسط، ولم يعد اهتمام موسكو بالمنطقه إلا مع بدايه النصف الثاني من القرن العشرين مع بداية الحرب الباردة وبدء عهد الاهتمام الأعظم للغرب بمنطقة الشرق الاوسط، وبرغم ذلك فأنه لايمكن مساواة دواعي الاهتمام الغربي بدواعي الاهتمام السوفيتى بهذه المنطقة لاسباب واضحة.

فالاهتمام الغربي جاء على خلفية الادراك المتعاظم لأهمية الخزين الاستراتيجى للطاقة في هذه المنطقة وموقعها الاستراتيجى بالقرب من حلبة الصراع الأهم وبذلك يكون اهتمام المعسكر الغربي بالشرق الاوسط آنذاك اهتماماً وجودياً، أما الاهتمام السوفيتى فلم يكن كذلك بل كان نوعاً من الاختراق للمعسكر الغربي فالغرب وضعوا حواجز قوية بوجه اي تمدد سوفيتي سياسي تجاه الشرق الاوسط سواء في إيران[٢]، أو تركيا[٣]حتى ان السوفيت لم يفكرو باختراق هذا الطوق حتى دعاهم الشرق الاوسط نفسه اليهم في ١٩٥٥[٤] وبالتالي فأن السوفيت لم يفكرو بالشرق

---

(١) بدأت المسألة الشرقية (Eastern Question) منذ اول ظهور لعلامات الضعف في الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر ولقبت فيها الدولة العثمانية برجل اوروبا المريض وقد جاءت بداية المسألة بعد اندحار العثمانيين في الحرب الروسية التركية عام ١٧٧٤ للمزيد أنظر:

Alexander Lyon Macfie (Eastern Question 1774-1923) Revised Editions, Rootled, London, 1996, p.3.

(٢) اعتبرت ايران منذ يالطا خطاً احمر بوجه اي نفوذ سوفيتي، الأمر الذي نجم عنه انسحاب السوفيت من دعم جمهورية مهاباد (الكردية) وترك قادتها يواجهون مصيرهم امام زحف القوات الايرانية الحكومية ومثلها حكومة أذربيجان، وخلال الفترة العاصفة لوزارة مصدق ونهايتها على يد زاهدي بالاتفاق مع المخابرات الامريكية تأكد انتقال السيطرة عليها من يد بريطانيا الى الولايات المتحدة وبشكل نهائي حتى عام ١٩٧٩، أنظر:

Qalap A. Cossa (Iran: Soviet Interest, US Concerns) McNairy papers, the institute for National Strategic Studies, National Defense University, Washington Dc, 1990, p.23.

(٣)منذ انضمام تركيا لحلف شمال الاطلسي (NATO) عام ١٩٥٢ وهي بمثابة الخط الاحمر بوجه اي تقدم للنفوذ السوفيتي سواء في الساحل الشرقي للمتوسط او الشرق الاوسط بل انها اعتبرت اهم مصدر عسكري تقليدي لمواجهة اي تقدم سوفيتى محتمل جنوباً (اي باتجاه الجنوب الغربي) للمزيد أنظر:

Dionysius Chourchoulis (The Southern Flank of NATO 1951- 1959, Military Strategy or Political Stabilization) Lexington Books, London. 2015, p.7.

(٤) في ذلك العام قام الرئيس المصرى عبدالناصر باختراق كل هذه الحواجز متخذاً قراراً استراتيجياً بعيد المدى من خلال طلب السلاح السوفيتي لمواجهة التهديدات الاسرائيلية لبلده ومماطلة الامريكان والبريطانيين في اعطاءه السلاح كوسيلة للضغط عليه من أجل

الاوسط إلا كطريق لخرق الحصار أو التطويق ضدهم لمصالح استراتيجية لهم فيه الامر الذي منحهم الفرصة لطرح انفسهم كقوة دولية لا استعمارية لدعم ماكان يعرف بالعالم الثالث ضد القوى الاستعمارية القديمة (الاوروبية) والجديدة (الامريكية) وكان الصراع جذاباً بالفعل لاسيما بالنسبة للدول التي كانت تتحسس من احتمالية اجبارها على اعتناق الشيوعية عندما قبل السوفيت بالتعامل مع أنظمة لا شيوعية والنظر لها (ايديولوجياً) بشكل صديق[١] وكان التزام السوفيت باصدقائهم في الشرق الاوسط قوياً، ودعموهم في كثير من أوقاتهم الصعبة بوجه خصومهم[٢]، لكن النفوذ السوفيتي بدأ بالتأكل خلال السبعينات والثمانينات بسبب الجمود الذي اصابهم سياسياً[٣] حتى جاء انهيار السوفيت متزامناً مع انهيار واحدة من اهم

تساهله في مباحثات الجلاء البريطاني عن مصر من جهة ولنيل موافقته على الانضمام لسياسة الاحلاف التي كان يصر عليها وزير الخارجية الامريكي آنذاك جون فوستر دالاس، أنظر:

Rami Giant (The Soviet Union and Egypt) Telesis Submitted for the Degree of PhD, London School of Economic and Political Science, University of London, London 1991, p301-313.

(١) لم يقتنع السوفيت في البداية بفكرة بقاء انظمة أفرو آسيوية بشكلها اللاشيوعي أو الاشتراكي حتى في تعاونها معه، وقد خاضت بعض هذه الانظمة بالفعل صراعاً شرساً مكتوماً مرة ومعلناً مرات من اجل أقرار هذه الصيغة بالنهاية بالنسبة لمصر وبقية الدول العربية والهند... الخ رغم ان هذه التجربة لم تنجح بالنسبة لكثيرين في العالم الثالث ممن وجدوا انفسهم مجبرين على اعتناق الشيوعية مثل كاسترو في كوبا او على مواجهة تضخم الشيوعيون في بلدانهم الامر الذي أعطى خصومهم الحجة للانقلاب عليهم مثل سوكارنوا في اندونيسيا... الخ، انظر:

Henry Trofimenko (The Third World and the US. Soviet Competition) Foreign Affairs, Councilor Foreign Relation, Washington D.C summer, 1981.

(٢) تمثل ذلك بوقوف السوفيت مع الدول العربية الصديقة ابان وبعد حرب ١٩٦٧ من خلال الدعم السياسي والتسليحي الكامل أنظر:

Jacob Roiand Boris Morozov (The Soviet Union and The June 1967 Six Day War) Woodrow Wilson Center Press, Washington Dc. 2008, p.282.

(٣)أطلق على عصر الرئيس بريجنيف ١٩٦٥-١٩٨٢ اسم الركود العظيم (Great stagnation) والذي كان من أهم اسباب الانهيار السوفيتي لاحقاً أنظر:

Ross John Campbell (Why Did the Soviet Union Suffer From Stagnation) faculty of Business, Environment and Society Department of Ternational and Social Science, Coventry University, Coventry, UK 2012.

قلاعهم في الشرق الاوسط ألا وهو العراق[١]، وهكذا انقطعت الصلة لانعدام أي مصالح بين روسيا والشرق الاوسط حتى مجئ إدارة الرئيس بوتين التي حاولت إيجاد مجموعة من المبررات التي تدعم فكرة وجود مصالح لروسيا في الشرق الأوسط[٢] مثل فكرة ضرورة قيام روسيا بدعم الانظمة لمواجهة الإرهاب في الشرق الاوسط بسبب تأثير هذا الارهاب على الامن القومي الروسي بسبب المقاتلين الشيشانيين وغيرهم من شعوب الدولة الروسية وحلفاءها [٣]، ولا أحد يستطيع ان ينكر دور المقاتلين الشيشانيين في حروب الارهاب[٤]، إلا ان استخدام حجة تجنب الحرب كسبب لشن حرب كبرى في سوريا تبدو حجة غير مقنعة كثيراً، ثم اذا كانت روسيا مهتمة فعلاً بمحاربة الارهاب، فلماذا لم تنضم للجهد الدولي المكرس لمحاربة داعش والنصرة بقيادة التحالف الدولي؟! واذا كان كل همها منصباً على الارهاب، فلماذا تعمد الى مقاتلة اعداء النظام السوري من الفصائل الاخرى والتي لم يكن لها أي علاقة بقوى الارهاب على الارض الروسية او اي دولة أخرى في العالم وعلى رأسها الجيش الحر مثلاً؟!!

---

(١) كان ذلك أبان الغزو العراقي للكويت والذي شهد تنازلاً شبه رسمي للاتحاد السوفيتي (الذي مالبث ان انهار بدوره بعد فترة قصيرة) عن حليفه في بغداد منهياً علاقة تحالف مع حكام بغداد استمرت لـ٣٣ سنة (١٩٥٨-١٩٩١) للمزيد حول تفاصيل الموقف السوفيتي زمن آخر حكامه (غورباتشيف) من حرب الخليج أنظر:

SerhilPlokhy (The Last Empire, the Final Days of the Soviet Union) Basic Books Group, Philadelphia, 2015, p131-142.

(٢) مثل تصريح رئيس الوزراء الروسي ميدفيديف ان التواجد الروسي في سوريا هو لحماية مصالحها القومية، أنظر:

SimansSaradzyan (Russia's Interest in Syria is not Assad) Carnegie Forum 20/10/2015.
https: //www.carnegie.org/news/articles/russias interest- Syria –not –Assad /

(٣) جمهورية الشيشان Chechnya تقع في شمال القوقاز وعاصمتها غروزنى Grozny نفوسها يتجاوز المليون وربع مليون نسمة بقليل وقد انفصلت عن انغوشيا Ingush في ١٩٩١ وقد نشبت بينها وبين روسيا حرب الاستقلال الاولى ١٩٩٤-١٩٩٦ والتي ظهرت فيها قوى المقاومة الشيشانية، وتقول بعض المصادر ان هذه الحرب كبدت روسيا خسائر تصل الى ١٤ الف رجل ومثلهم من الشيشانيين لكن الاصابات بين المدينين تجاوزت الربع مليون مابين قتيل وجريح وتدمير شبه شامل للمدن الشيشانية فيما نشبت الحرب الشيشانية الثانية عام ١٩٩٩ عقب الغزو الداغستاني لها بمساعدة الروس وانتهت بسيطرة الروس في عام ٢٠٠٠ ومنذ ذلك الحين تعاني روسيا من اعمال المقاومة الشيشانية والتي تحولت من صيغتها القومية الى صيغة اسلاموية متطرفة تشارك في كل فعاليات الاسلام المتطرف في انحاء العالم، انظر:

Anna PolitkovsKaya (A Small Cornier of Hell, Dispatches from Chechnya) Translated by Alexander Burry and Tatiana Tulchinsky, The University of Chicago press, Chicago, 2003.

(٤) مثل طرخان تيمور زوفتش باستيرا شفيلى والمعروف باسم أبو عمر الشيشاني (رغم انه كما يقال جورجى الاصل وليس شيشاني) والذي قتل مؤخراً في غارة لقوات التحالف الدولي على داعش بتأريخ ٢٠١٦/٢/١١. ويقال انه كان بمثابة وزير الدفاع لدى دولة داعش وكان قبلها قائداً لما كان يعرف بـ(جيش المهاجرين والانصار) للمزيد أنظر:

DiveedGartenstein – Ross (The Islamic State's Anbar Offensive and Abu Umar - Shishani) Waron Rocks. Com /2016 / 10 / the – Islamic- state's- anbar.

كما ظهر رأي آخر يؤكد ان الحروب الروسية في سوريا هي للدفاع عن القواعد الروسية العسكرية الكبرى لها هناك والتي تعتبر قواعدها الوحيدة في البحر المتوسط، وهذا الرأي يشير الى مركز التسهيلات البحرية الروسية في طرطوس(١)

ورغم ان البعض يبالغ في حجم هذا المركز بوصفه قاعدة بحرية، إلا ان البحرية الروسية نفسها تنفي عنه هذه الصفة مؤكدة انه (مركز دعم تقني) للبحرية الروسية ليس إلا، وهو مركز تصليح واستراحة ولايحوي غير خمسين عسكرياً روسياً فقط ولا توجد فيه سوى باخرة واحدة يتألف طاقمها من البحارة المدنيين مهمتها تزويد السفن بالمياه والوقود والمؤن(٢) .

ورغم الحديث عن اتفاقيات متوقعة لتوسيع الميناء من أجل مهام أخطر واكبر لصالح البحرية الروسية، إلا ان الواقع يؤكد ان الاسطول الروسي المكلف بمهمات البحر المتوسط(٣)، كان طوال تاريخه مستغنياً عن توسيع وجوده المتواضع في البحر المتوسط، هذا الوجود الذي لايمكن ان يكون سبباً لكل هذا التدخل العسكري الواسع الروسي في سوريا كما ان هناك قاعدة جوية روسية في سوريا اعلن عنها في أيلول ٢٠١٥(٤)، وهي قاعدة تضم دور العاملين وبرج مراقبة ومدرج ومنشآت تخزين ومحطات وقود للطائرات وهي تستطيع استقبال طائرات النقل من نوع انطونوف ١٢٤

---

(١)لقد تأسست هذه التسهيلات ابان الحرب الباردة بين نظام حافظ أسد والحكومة السوفيتية في ١٩٧١ لكنها هجرت مع انهيار الاتحاد السوفيتي في ١٩٩١، انظر:

Andrew E. Kramer (Russia Warships Said to be going to Naval Base in Syria) the New York Times, New York, 18-6-2012.

(2) Mikhail Zygar and Alexander Grits Ova (Tartu's too Small for Pytorvelikiy) Kommersant in 24-9-2008. Www. Kommersant.com / p.1030595 / r -527 / pytorvetikiy – unable – to enter – tarts /

(٣) الاسطول الروسي العامل في البحر الاسود والبحر المتوسط وهو من اعرق الاساطيل الروسية، فهو قد تأسس عام ١٧٨٣ على يد الامير بوتمكين و له عدة مقرات وموانئ وتتألف القوة الروسية حالياً في البحر المتوسط من سفينة مهمات واحدة رغم الخطط المستقبلية لزيادتها الى ٢٠ سفينة اخرى، انظر:-

Tyler Rogoway (Russian Ships Enter the Mediterranean as Fighters Test Turkey's air-Space) Foxtrot Alpha in 10-5-2015.

(٤) وهي قاعدة حميمم في اللاذقية والتي اصبحت منذ ٢٠١٥ جزء من المركز الاستراتيجي للعمليات العسكرية الروسية لمحاربة الدولة الاسلامية للمزيد حول القاعدة انظر:-

Luis Martinez (Russian Build-up Continues at in Base Syria, Causing Concern among US Officials) ABC News in 9-9-2015. Abconews.go. com / politics / Russian – build continues – base – Syria – causing – concern.

روسلان واليوشن ١١-٧٦ بالاضافة الى السفن المقاتلة من نوع سوخوى ٢٤ أس و ٢٥ أس و ٣٤ أس ودبابات تى ٩٠ وناقلات من اجل خوض الحروب وليس من اجل ان تخاض الحروب لاجلها!!

فالقواعد العسكرية توضع عادة لخدمة احتمالات الحروب، وليس هناك دولة تتصف قياداتها بالعقل تفكر بخوض حرب مدمرة دفاعاً عن قاعدة !!

بالإضافة الى ان روسيا دولة نفطية بل ومن اعاظم منتجي النفط في العالم والذي هو السبب الاساسي لتواجد القوى الكبرى في الشرق الاوسط ناهيك عن خلو سوريا بالذات منه، إلا من كمية ضئيلة لاتشكل إلا قطرات من بحر النفط في روسيا نفسها!!

من كل ذلك يتضح لنا بجلاء انه ليس هناك مصالح حقيقية لروسيا الحالية في سوريا او حتى في عموم الشرق الاوسط، وان وجدت فهي قطعاً لاتساوى خوض الحروب من أجلها[١]، والسؤال الذي يبرز هنا هو، ما هو إذن السبب الحقيقي وراء هذا الاهتمام الروسي الكبير بالقضية السورية؟

المطلب الثاني: أزمة البحث عن دور في السياسة الخارجية الروسية

تعتبر قضية دراسة دوافع وأهداف السياسة الخارجية الروسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، قضية لاتخلو من التعقيد، ذلك ان روسيا حالياً هي الدولة الكبرى الوحيدة التي ترتهن سياساتها الداخلية والخارجية لإرادة حاكم او رجل واحدا[٢] وهي قضية خطرة في السياسة الخارجية وقوه قلما تجمعت لرجل واحد في العصر الحديث[٣] من هنا يبدو انه

---

(1) (Moscow to Deploys – 400 Defense Missile System to Khmeimim Airbase in Syria) RT in 25-11-2015.

https://www.rt.com / news / 323379-s400 Russia- Syria – air base/

(٢)تخضع قرارات السياسة الخارجية في الدول الديمقراطية كالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا...الخ لآلية مركبة من العوامل الداخلية والخارجية المؤسسة (institutional) والتي تخضع لدراسة وتدقيق شديدين من الشعب سواء بواسطة ممثليه في البرلمانات المنتخبة او من قبل النخبة في وسائل الاعلام ومراكز الدراسات المختلفة وهذا لاينفي احتمالية الوقوع في اخطاء عند اتخاذ هذه القرارات لكن الاخطاء تتم مراجعتها وتدقيقها ومحاسبة مرتكبيها كما حصل في قرار غزو العراق ٢٠٠٣، وحتى الصين لاتخضع قراراتها لإرادة رجل رغم عدم ديمقراطية نظامها بل ان هناك نوع من القيادة الجماعية المرجعية المتمثلة بجمهرة خبراء لترشيد هذا القرار للمزيد حول صنع القرار في السياسة الخارجية انظر:

Christopher J.Fettweis ،(Maxinkgforeegin Policy Decisions) Transaction Publishers, New Yourk 2015.

(٣) ربما إذا استثنينا ستالين وماو وهتلر فإن جميع من تملكوا السلطة المطلقة بهذا الشكل لم يكونوا يحوزون قوة بهذا المدى مثل رؤساء وزعماء دول العالم الثالث.

لا مناص من اللجوء لنظريات علم النفس السياسي لدراسة سمات شخصية الرئيس بوتين لمعرفة اسس اتخاذ القرار في السياسة الخارجية الروسية.[١]

وليس من الصعب ان نستنتج الرغبة المحمومة للرئيس بوتين في إعادة مجد الدولة الروسية الذي تراجع الى مستويات كبيرة خلال العقدين الاخيرين[٢] وهذا ما دفعه منذ بدء عهده الرئاسي الأول ٢٠٠٠-٢٠٠٨ والرئاسي الثاني منذ ٢٠١٢ والمتوقع ان ينتهي عام ٢٠٢٠[٣](وقد يكون ميدفيف متوفرآنذاك ايضاً ليلعب دور الرئيس الاحتياط كما فعل في ٢٠٠٨-٢٠١٢) للعب دور القيصر المخلص الجديد لروسيا، وتعتبر محاولة روبرتسون[٤] واحدة من اشهر محاولات تحليل شخصية بوتين سياسياً، والتي قدمها عقب غزوه للقرم، وتركز رؤية روبرتسون في تحليله لشخصية بوتين على ما اسماه عامل الازدراء او الاحتقار (contempt) للآخرين، يقول روبيرتسون (ان شخصية وتفكير بوتين قد أصبحت مشوهة بشكل كبير بسبب تأثير القوى الهائلة والغير محدودة[٥] الممنوحة له سياسياً).

---

(١)يعتبر سنايدر snyder وبروك Bruck وسابين Sapin من أوائل من كتب عن دور الشخصية وبنائها النفسي في اتخاذ القرار في السياسة الخارجية وكان هذا اول اعتراف اكاديمي بدور العوامل اللامؤسسية في هذا القرار.

Richard C.Snydar, H.W.Brake and B.Sapin (Eds) (Decision Making as an Approach to the Study of International Politics) Free Press, NewYourk, 1962.

(٢) بدأت مرحلة الانحطاط مع تولي ميخائيل غورباتشوف السلطة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٥ نتيجة لتراكمات تاريخية طويلة لم يكن هناك مفر من مواجهة عواقبها في النهاية وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي جاءت أسوأ مراحل روسيا مابعد الحرب الباردة زمن الرئيس بوريس يلتسين والذي كانت مرحلته مرحلة شبه انهيار في كل القطاعات الى درجة هائلة انظر:

Joseph Stigliz (the Ruin of Russia) the Guardian Newspaper, London 9-4-2003.

(٣) خدم بوتين كرئيس للوزراء ١٩٩٩-٢٠٠٠ ثم رئيساً للوزراء مرة ثانية بعد اكماله فترته الرئاسية كاملة حسب الدستور بين ٢٠٠٨-٢٠١٢ وكان هذا بمثابة تلاعب دستوري منه ومن حزبه للبقاء في السلطة انظر:

Ben Smith (The Russian Crisis and Putin's Third Term)House of Commons Library, International Affairs and DefenceSection, London, 2012، p..14

(٤) الدكتور ايان اتش روبيرسون Robertson وهو حاصل على الدكتوراه في علم النفس العصبي من جامعة لندن، وتركز بحوثه على تغيرات السلوك وجراحة الدماغ وله اكثر من ٢٠٠ كتاب ودراسة منشورة وهو استاذ في كبريات جامعات بريطانيا وايرلندا في اختصاصه، للمزيد انظر:

WWW.tcd.ie/Neu /Neuvoscience/neil/

(5) Ian H.Roberston (the Danger that Lurks inside Vladimir Putin's Brain Contempt is Key to Putin's Troubling Psychological Profile) Psychology Today in 17/3/2014.

https://www.Psychology Today.com

وبرغم اعتراف روبيرتسون بان قرارات بوتين في السياسة الخارجية قد تكون مدفوعة بعوامل منطقية، إلا انه يؤكد انه بعد ممارسة السلطة شبه المطلقة لفترة تقترب من العقدين فانه قد لايكون من الصحيح اهمال العوامل النفسية أو عدم أخذها بعين الاعتبار، وانه يجب أخذ قضية (الازدراء) كعامل اساسي في بناء نفسية بوتين، والازدراء هنا غير متعلق بمرؤسيه من الوزراء والمسؤلين الروس[١] فحسب بل يتعداه الى بقية زعماء وساسة العالم لاسيما في الغرب الديمقراطي حيث يقول روبيرتسون (ان ازدراءه [بوتين] ليس مكرساً لما يعتبره ضعيفاً أو ربما مخنثاً في رؤيته الرجولية للزعماء الغربين فحسب لكنه مكرس أيضاً لمؤسساتهم مثل المعاهدات والقوانين الدولية)[٢] .

كما يؤكد على ثقته التامة بتمسك بوتين بالسلطة بشكل قاطع حتى عام ٢٠٢٤ ومابعدها، وان عقله قد تغير عصبياً ونفسيا باتجاه التمسك بيقين هلاك روسيا بدونه، فالسلطة المطلقه لفترات زمنية طويله تجعل الحكام غافلين عن الاخطار الفعلية، ومحبين لذواتهم ونرجسيين وخالين من الادراك الواقعي للذات.. وبذلك تصبح نتيجة كل هذا هو ازدراء الاخرين، وتؤكد انجيلا ميركل المستشارة الالمانية في تقرير لها عنه (بانها غير متأكدة اذ كان بوتين على تماس بالواقع[٣]!! ، وهذه هي الأوصاف العلمية لما يعرف (بمتلازمة الغطرسة)[٤]. لكن روبريتسون يضيف عاملاً آخر نفسياً هو عامل الخوف من الحساب من قبل الحكومة او النظام الذي سيخلفه بسبب تجاوزاته وإدراكه الداخلي بفداحة مايمكن ان يكون قد تسبب به في ضوء غياب اطر المحاسبة الديمقراطية الفعلية، يضاف الى كل ذلك العامل الايديولوجى القومانى الملتحم بذاته فهو يقول في مذكراته (انا اعتبر ان واجبي المقدس هو في توحيد شعب روسيا وتعبئة المواطنين حول أهداف ومهمات واضحة والتذكر دوماً كل يوم وكل دقيقة بان لها ارض – ام واحدة، شعب واحد، مستقبل واحد)[٥]، ويعلق روبرتسون قائلاً (ان قشعريرة قد سرت في جسده حالما قرأ جملة أمنا الارض، شعب واحد، مستقبل واحد)[٦] .

---

(١) تؤكد المستشارة الالمانية ميركل والتي قد تكون اكثر الزعماء الغربيين التقاء به هذه الحقيقة، حتى انها حضته في لقاء لهما في ٢٠٠٦ على ضرورة ابداءه احترام اكبر لوزراءه، انظر: Ibid

(2) Ibid

(3) (Things you didn't know about Russian President Vladimir Putin) news.com.au in 5-3-2014. www.news.com.au/world europ/things-you-didn't-know.

(4) Ian H. Robertson et.la

(5) (Vladimir Putin) 12-4-2016 Eng. Putin kremlin.ru/bio

(6) Ian H.Robertsonet.Ia

ويبدو ان كلمات بوتين قد ذكرت روبيرتسون بخطاب هتلر القوماني والذي تسبب بالكارثة الهائلة.

يقول روبرتسون (في ظل الديمقراطيات التي تحاسب قادتها فأن علم النفس قد لايلعب دوراً حاسماً في إدارة الدولة لكن سيطرة بوتين على الاعلام والنظام القضائي وعالم البزنس الروسي تعني ان سيكولوجيته الشخصية تلعب دوراً اكثر اهمية في سياسات الدولة من بقية الدول)[١].

ويصل روبرتسون الى استنتاج مفاده ان بوتين لايشعر انه ملزم بالتقيد بالقوانين العادية المتمدنة، لهذا هو يجد لنفسه كل التبريرات لخرق وكسر القواعد (التافهة كما يراها) حتى فيما يخص ملكية الافراد الآخرين[٢].

كما تأتي نظرية بورغو[٣] عن نرجسية بوتين.التي يقول عنها بورغو انها كانت محط اهتمام وملاحظة الكثير من المتابعين والخبراء في انحاء العالم[٤] ويعرف بورغو النرجسية بانها (خلل نفسي حاد يأخذ جذوره دائماً من الطفولة، حيث تكون حياة عائلة الشخص المعني قد تعرضت لصدمة وفوضى عاطفية، فعندما تكون تجارب الشخص المعني المبكرة منحرفة بشكل جذري عما هو طبيعي او مقبول، فأن الطفل ينمو مع شعور مؤلم بالنقص الداخلي، عندها يحس بان هناك شيء معطل ومخجل عن نفسه، نوع من القبح يجب ان يزال، لذلك هو يطور هوية دفاعية لاخفاء احساسه اللاواعي بالعار[٥] ثم يورد قصة طفولة بوتين المؤلمة والتي تظهر معاناته[٦] ثم يورد مظاهر متعددة للظاهرة

---

(1)Ian H.Robertson (Inside the Mind of Vladimir Putin) the Telegraph Newspaper, Telegraph Media Group, London, 24-2-2015.

(٢)يروى ستينفسون قصتان مذهلتان عن بوتين ففي حزيران ٢٠٠٥ شاهد بوتين خاتماً ماسياً في اصبع رجل الاعمال البريطاني روبرت كرافت نال اعجابه، فما كان منه إلا ان طلب تجربته، وبعد ان استجاب كرافت لطلبه فوجئ به يدس الخاتم في جيبه ويغادر المكان بصحبة حمايته دون تفسير !! وبعد حادثة الخاتم هذه بثلاثة أشهر فوجئ القيمون على متحف غوغنهايم في نيويورك ببوتين يستولي على نسخة زجاجية معدة لحفظ الفودكا من رشاسة كلاشنكوف امام ناظر الجميع ويأمر حمايته بأخذها لصالحه!! انظر: Ibid

(٣)جوزيف بورغو Burgo طبيب نفسي ومتخصص في العلاج النفسي ومؤلف كتاب (سندريلا: قصة عن النرجسية وحب الذات، لماذا أقوم بذلك؟) وكتاب (النرجسي الذي تعرفه) ومقالات أخرى كثيرة أنظر:

(Joseph Burgo PhD (en. Gravatar.com/burgo 55.

(٤)مثل زبيغنيو بريزنسكي Brecezinski مستشار الامن القومي زمن الرئيسي الامريكي جيمي كارتر والخبير الاستراتيجي الدولي المعروف الذي وصف بوتين بالنرجسي المصاب بجنون العظمة (Narcissistic Megalomania) كما وصفت الفاينا نشيال تايمز دورة الالعاب الاولمبية الشتوية في سوتشي بروسيا بانها (ضريبة نرجسية بوتين) انظر:

Joseph Burgo (Vladimir Putin, Narcissist?) The Atlantic, the Atlantic Monthly Group, Washington DC, 15-4-2014.

(5)Ibid

(٦)يتشابه كل الدكتاتورين في هذه الناحية حيث لايذكر لنا التاريخ دكتاتوراً معروفاً عاش طفولة طبيعية أو معقوله عاطفياً او مادياً.

الزجسية عند بوتين مثل عدم تسامحه مع النقد[١] او انفراده بالقرارات او مظاهر وصور عظمته التي بدأت تنتشر في كل مكان[٢] لكننا طبعاً لانستطيع ان نرهن كل السياسة الخارجية الروسية بدوافع نفسية ذاتية محضة متعلقة بطفولة وخفايا شخصية بوتين، اذ ان هناك بالتأكيد عوامل ادراكية خاصة بصانع القرار (اي صانع قرار) مبنية على فهمه ووعيه بالامن القومي لبلده او بمصالح ذلك البلد والفرق بين الانظمة الفردية والانظمة الديمقراطية هو أن المؤسسات والمشاركة والمعارضة السياسية ومراكز الاستشارات ...الخ. تعدل و تلطف وتخفف كثيراً من وطأة هذا العامل النفسي لدى الحاكم، بينما تختفي كل هذه العوامل او تضعف كثيراً في الانظمة الفردية، وحتى في حالة الانظمة الفردية. فمن النادر ان يلجا أي حاكم الى اتخاذ قرارات عدوانية او صديقة تجاه جهة او طرف او دولة او مجموعة دول بالاعتماد على العوامل النفسية المجردة من كره اوحب.. الخ، بل هو يلجأ الى تبرير هذه المشاعر، ليس لمحيطه او شعبه او للعالم فحسب بل لنفسه ايضاً على اساس من منطقية هذه القرارات بل واهميتها لحماية وتحقيق مصالح وأمن بلاده، وكلما كان هذا التبرير متطابقاً مع الرؤية النفسية للجتمع او لعموم الشعب[٣]. كلما تحققت و زادت شعبية هذا الحاكم واصبحنا ازاء نموذج (الحاكم الشعبوي)[٤] والذي تحظى قراراته الخارجية (غالباً) بشعبية كبرى لانه يحاكي المزاج العام

---

(1)(with last Media Critics Blocked, Putin Silence the Russia Press) The Atlantic, the Atlantic Monthly Group, Washington DC, 15-3-2014.

(٢)يشير بورغو الى قضية مهمة تتعلق بنرجسية بوتين الا وهي البيئة الحاضنة والمشجعة لهذه النرجسية بالنمو والبقاء اذ ان الشعب الروسي يبقى اكبر داعم ومؤيد لكل هذه المظاهر المرضية في شخصية بوتين والسبب هو مشاعر النوستالجيا الضاربة في عمق المجتمع الروسى تجاه مظاهر العظمة للدولة السوفيتية او القيصرية السابقة، وسنتحدث عن هذه النقطة بالتفصيل لاحقاً لعلاقتها المهمة بالموضوع.

Seth Mydans (20 Years after Soviet Fall, Some Look Back Longinly) Tthe New York Times, the New York Times Company, New York, 18-8-2011.

(٣) يقول غوليري ان الازمة الحقيقية تكمن في القيادة الروسية بل في عموم الشعب الروسي الذي يعاني مما اسماه (اضطراب مابعد ضغط الصدمة) وهذا هو ما شجع القيادة الروسية على اتخاذ تلك القرارات وتأتي وجهة النظر هذه من الرؤية القائلة بان القائد او الحاكم يعكس (بامراضه او بصحته النفسية) الحالة النفسية العامة للشعب، لذلك فلا معنى للوم حاكم ما لان هذا الحاكم هو وليد تصورات ورغائب شعبه قبل أي شيء وهي وجهة نظر لها و وجاهتها، انظر:

Sean Guillory (Is Russia Suffering From Post. Traumatic Stress Disorder?) New Republic in 24-4-2014 .https://newrepuplic.com/article/117493/Russia-suffering-post

(٤)الشعبوية هو اتجاه سياسي عاطفي يعمد فيه السياسي الى استغلال عواطف الجماهير لتسييرها حسب الاتجاه الذي يرغبه من خلال اللعب على وتر مخاوف او اهتمامات او ذكريات او احلام هذا الشعب واهمال الجوانب المنطقية والعقلانية، ويعمد القائد الشعبوي Populist الى محاولة السيطرة على النظام او تسييره وخرق القانون بدعوى انه ملهم لتحقيق ارادة الجماهير ورغباتها ولهذا فهو غير مقيد بالقانون انظر:

لشعبه مهما كان هذا المزاج عاطفياً ولاعقلانياً (خصوصاً وان هذه الظاهرة لاتتواجد إلا في حالات انخفاض العقلانية او الانسانية لدى الشعوب المعنية). وفي حالة الشعب الروسي مع بوتين فهناك حجج معلنة للسياسة الخارجية الروسية تتمثل بالمصالح او الأمن القومي ... الخ.

الا ان هناك حجة أخرى فعلية و واقعية يتماشى معها الرئيس الروسي (فلادمير بوتين) وتجد رواجاً هائلاً عند الشعب الروسي وهي (اعادة أمجاد الدولة السوفيتية) سابقاً، وهي حجة غير معلنه لكنها واقعية وهي الاساس الحقيقي لهذه السياسة والسبب الاساسي للتأييد الشعبي الروسي للسياسة الخارجية لنظام بوتين، ذلك ان الدولة الروسية كانت مما يعتبره الروس مهانة فعلية بسبب تراجعها منذ بداية عهد غورباشيف وطوال عهد يلتسين.

وهذا يعني ان بوتين قد كرس نفسه وبلاده واقتصادها وجيشها لاعادة (مايعتقد) انه مكانة وهيبة روسيا كدولة عظمى بغض النظر عما تكلفه هذه الاعادة واثمانها وعما اذا كانت اساساً تتماشى مع مصلحة روسيا الفعلية، وقد مربنا ان الشرق الاوسط لايعتبر من صميم المصالح او النقاط المهددة للأمن الوطني الروسي (رغم كل الادعاءات بعكس ذلك)، لكن الشرق الاوسط في الواقع يعتبر نقطة اساسية في ذاكرة القوة والمكانة في الحقبة السوفيتية، فالشرق الاوسط كان هو النافذة الاولى الافروآسيوية او العالم ثالثية التي اطل منها الروس كدولة عظمى اواسط القرن العشرين كما مر بنا واستطاعوا من خلالها وفيها تحقيق اعظم انتصاراتهم السياسية (معارك ١٩٥٦ ، ١٩٧٣) وبنوافيها اقوى الانظمة المقارعة للغرب (عبدالناصر وآل الاسد، صدام حسين، القذافي، الجزائر...الخ) لذلك فأن عودة بوتين للشرق الاوسط تمثل منعطف نوستاليجي حساس بالنسبة للشعب الروسي لايقل في الوقع عن شرق اوربا و اكرانيا واسيا الوسطى...الخ.

يضاف الى كل ذلك ماسبق واوردناه عن العُقد المختلفة في شخصية الرئيس الروسي (فلادمير بوتين) والتي تجعله منساقاً الى اية ازمة في السياسة الخارجية تستطيع ان تحقق له ذاته النرجسية المدعومة باحتقاره التام للمجتمع الدولي كما بيّنا ،كل ذلك ادى الى قرار التدخل الروسي في الشرق الاوسط(سوريا) اي ان الاسباب كانت في الواقع مزيجاً من الاسباب النفسية للحاكم (بوتين) وللشعب (الروسي).

وهذا هي اهم اسباب تعاظم الدور الروسي البوتيني في الشرق الاوسط وسوريا على وجه التحديد (دون ان نغفل الاشارة الى احتمال ازدياد الدور الروسي تدخلا في الساحات التقليدية للسياسة السوفيتية سابقاً مثل مصر والعراق واليمن والجزائر وليبيا...الخ) مستقبلاً .

Daniela di Piramo (Speak for Me: How Populist Leaders Defy Democracy in Latin America) Department of Politics Policy, Griffith University, Brisbane, Australia, 2013.

الخاتمة والاستنتاجات

-ان الدور الروسي يعبر عن سعي محموم لمد النفوذ إلى مناطق أبعد من تلك التي استقر عليها الأمن القومي لروسيا الاتحادية، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وهو في الوقت ذاته يعكس تصور ما يسمى بالنهضة الروسية، ويؤشر إلى رغبة روسيا لتكون وريثاً لما يسمى بنفوذ الدولة السوفيتية السابقة.

- أن روسيا تخشى بالتأكيد من سريان مبدأ التدخل لتغيير الأنظمة القائمة عبر التدخل الخارجي، وهو مبدأ يشكل تهديداً مباشراً للسلطة الروسية الحالية وحلفاءها في أقاليم أخرى (مثل القوقاز وآسيا الوسطى والشيشان وبيلوروسيا)، بل يمكن أن ينتهي بالتدخل الدولي في روسيا نفسها بالنظر لما يكتنف عملية التحول الديمقراطي من شكوك، ووجود معارضة واسعة للرئيس بوتين، خاصةً بعد عودته إلى منصب الرئاسة منذ عام ٢٠١٢، هذا علاوةً على أن الرئيس بوتين، يبنى جزءاً من شرعيته الداخلية عبر تقديم نفسه كرجل دولة قوي يحاول أستعادة مكانة روسيا على الساحة الدولية وكزعيم يواجه الهيمنة الامريكية على النظام الدولي.

- أن روسيا تعارض دائماً حق الشعوب في تقرير مصيرها وتنادي بالحفاظ على وحدة أراضي الدول- حتى وإن كانت مصطنعة وتضم شعوباً متباينة وعدم إجراء أي تغير على حدودها، هذا المبدأ هو من ثوابت السياسية الخارجية الروسية أيضاً. لذا رأينا كيف أن روسيا وقفت ضد حركات التحرر لشعوب البلقان وعارضت تقسيم يوغسلافيا، والتي كانت تضم شعوباً مختلفة في كل شيء ، وقد تفككت هذه الدولة المصطنعة بعد زوال الضغط الخارجي عنها وهي تقوم بنفس الدور الحالي في سوريا.

- وقد اثبت البحث ان الانسحاب الامريكي، كان بمثابة دعوة غير مباشرة للروس للتدخل في المنطقة بهذا الشكل السافر، ولا نستبعد ان يكون هذا التدخل مرحباً به أو على الاقل حائز للضوء الاخضر الامريكي لسببين: -

أ-ان روسيا (العملاق النفطي) ليس له اطماع في نفط الشرق الاوسط (السعودية والخليج العربي)، كما ان نوستالجيا اعادة النفوذ السوفيتي لا تتضمن هذه المناطق لانها لم تكن اصلاً ضمن دائرة النفوذ السوفيتية ابان الحرب الباردة لذلك فلا خطر عليها من الوجود الروسي الحالي.

ب-ان روسيا اثبتت من خلال المشاورات الامنية المكثفة انها حليف وصديق مؤتمن بالنسبة لأمن اسرائيل، وقد أوضحت روسيا بجلاء وعبر عدة امثلة انها لا تستهدف مطلقاً من دخولها تهديد أمن اسرائيل أو السماح به بأي شكل من الاشكال، وهذا يعني ان الروس سيكونون بمثابة ضمانة لعدم قيام حلفاءهم الصغار والاقليميين بتهديد

النقطتين السابقتين وان روسيا ستكون مسؤولة عن افعالهم امام المجتمع الدولي وهو خير ما ترغب به واشنطن (المقصود إيران والاسد وحزب الله)

– كما اثبت البحث عدم وجود اي مصالح اقتصادية او استراتيجية من اي نوع كان لروسيا في الشرق الاوسط وسوريا على وجه التحديد، مما اثار السؤال حول الاسباب الحقيقية لهذا التورط .

– لقد قدم البحث دراسة مختصرة عن العوامل النفسية لصانع القرار الرئيس الروسي (فلادمير بوتين) والشعب الروسي على حد سواء والتي قادت الى هذا التورط أساساً.

– ان سبب احجام إدارة الرئيس الأمريكي أوباما عن التورط في سوريا (من بين اسباب اخرى) عائد الى إدراك هذه الادارة لكلف التورط الباهضة في هذه المنطقة ، وهو ما أدركته إدارة بوتين كما نتصور في الاونة الاخيرة والذي عكس نفسه في قرارات الانسحاب المفاجئ ولاكثر من مرة عسكرياً في سوريا ، مما يحملنا على التساؤل عن مآلات التورط الروسي وهل سيأخذ طابع الانغراس اكثر فأكثر في الرمال المتحركة السورية (كما فعلت الولايات المتحدة في فيتنام وبعدها الاتحاد السوفيتي في افغانستان والذي ادى الى الكوارث بالنسبة للبلدين العملاقين) ام سيغلب منطق المصالح الحقيقية وتتغير بوصلة اهتمامات الشعب الروسي لاسيما بعد الازمة الاقتصادية العالمية وانخفاض اسعار النفط (وهي المادة الرئيسية في الاقتصاد الريعي الروسي)؟ سؤال ستجيب عنه الشهور المقبلة.

قائمة المصادر

الكتب العربية:-

١-صموئيل هنتنغتون، (صدام الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي)، ترجمةمالك عبد أبو شهيدة، محمد محمود خلف، الدار الجماهيرية والتوزيع والإعلان، ١٩٩٩طرابلس، ص١٤.

٢-صموئيل هنتنغتون، (من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا)، ترجمة أحمد مختار الجمال، المركز القومي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٣٣٢.

٣- فرانسيس فوكوياما، (نهاية التاريخ وخاتم البشر)، ترجمة حسين احمد أمين، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.

٤- ممدوح عبدالمنعم، (روسيا تنادي بحق العودة على القمة)، ٢٠١٠، بلامكان الطبع والنشر، ص٤٦٩.

الرسائل الجامعية:-

١-جيبة زلاقي، " تأثير التحولات الدولية لما بعد الحرب الباردة على السياسة الخارجية الايرانية"، رسالة ماجستير في العلوم السياسية فرع العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية غير منشورة، جامعة الحاجى لخضر-باتنة، جزائر، ٢٠١٠، ص٩٤.

الصحف والمجلات:-

١-أثر الثورات العربية على التحولات في هيكل النظام الدولي "تحولات إستراتيجية" مجلة السياسة الدولية،القاهرة، العدد ١٩٠، أكتوبر ٢٠١٢.

٢-أحمد السيد تركي، أعراض ما بعد الاحتلال: التداعيات السياسية والأمنية للانحساب الامريكي من العراق. مجلة السياسية الدولية، الاهرام، القاهرة ، ١/يناير/٢٠١٢.

٣-بولنت آراس وأخرون، (التحول التركي تجاه المنطقة العربية)، دراسات، عدد ٦٠، لمركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ٢٠١٢ .

٤- جلال الورغي، (الأزمة الروسية التركية محددات التاريخ والجغرافيا والتطلعات لأدوار جديدة)، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، ١٦ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٥.

٥-دينا شحاتة، مريم وحيد، (محركات التغير في العالم العربي)، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، المجلد ٤١، العدد ١٨٤، أبريل ٢٠١١، ص ١٠.

٦-كارينا فايزولينا، (العلاقات الايرانية الروسية في ظل التقارب مع واشنطن)، ترجمة محمود محمد الحرثاني، مركز الجزيرة للدراسات (ملفات) الدوحة، أبريل/نيسان ٢٠١٤، ص٦٥.

٧- محجوب الزويرى، (العلاقات الايرانية السعودية في ضوء الملفات الساخنة في المنطقة)، تقرير صدرته مركز الجزيرة للدراسات، ٨مايو/آيار، الدوحة، ٢٠١٢.

٨-محمود حمدي أبو القاسم، (أبعاد التدخل العسكري في سوريا)، دراسة نشرها المركز العربي للبحوث والدراسات، الدوحة، ١٨/نوفمبر ٢٠١٥.

المصادر الاجنبية:

BOOKS

1. Alexander Lyon Macfie (Eastern Question 1774-1923) Revised Editions, Rootled, London, 1996, p.3.

2. Anna PolitkovsKaya (A Small Cornier of Hell, Dispatches from Chechnya) Translated by Alexander Burry and Tatiana Tulchinsky, The University of Chicago press, Chicago, 2003.

3. Christopher J.Fettweis (Maxinkgforeegin Policy Decisions) Transaction Publishers, New Yourk, 2015.

4. Dionysius Chourchoulis (The Southern Flank of NATO 1951-1959, Military Strategy or Political Stabilization) Lexington Books, London. 2015, p.7.

5. Jacob Roiand Boris Morozov (The Soviet Union and The June 1967 Six Day War) Woodrow Wilson Center Press, Washington Dc. 2008, p.282.

6. Richard C.Snydar, H.W.Brake and B.Sapin (Eds) (Decision Making as an Approach to the Study of International Politics) Free Press, NewYourk, 1962.

7. SerhilPlokhy (The Last Empire, the Final Days of the Soviet Union) Basic Books Group ،Philadelphia, 2015, p131-142.

8. Will Van Den Birchen (Holy Russia and Christian Europe East and West in the Religious Ideology of Russia) ScmPress, London, 1999, p.132

Articles and scientific Researchs:-

1- AburrahiMozer (The Ottoman-Russian Between the years 1774-1787) MastersThesis Submitted to the Department of International Relations in Bilknet University, Ankara, 2008.

2- Ben Smith (The Russian Crisis and Putin's Third Term)House of Commons Library, International Affairs and DefenceSection, London, 2012, p.14.

3- Daniela di Piramo (Speak for Me: How Populist Leaders Defy Democracy in Latin America) Department of Politics Policy, Griffith University, Brisbane, Australia, 2013.

4- Qalap A. Cossa (Iran: Soviet Interest, USConcerns) McNairy papers, the institute for National Strategic Studies, National Defense University, Washington Dc, 1990, p.23.

5- Rami Giant (The Soviet Union and Egypt) Telesis Submitted for the Degree of PhD, London School of Economic and Political Science, University of London, London 1991, p301-313.

6- Ross John Campbell (Why Did the Soviet Union Suffer From Stagnation) faculty of Business, Environment and Society Department of Ternational and Social Science, Coventry University, Coventry, UK 2012 .

مواقع الانترنيت:

1- The Washington institute for near east policy19-APR.2012:http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/russian-relations-with-iran-dialogue-without-commitments

2- "https://ar.wikipedia.org/wiki/2011"

3- Simansaradzyan (Russia's Interest in Syria is not Assad) Carnegie Forum 20/10/2015 .https: //www.carnegie.org/news/articles/russias interest- Syria – not Assad

4- Mikhail Zygar and Alexander Grits Ova (Tartu's too Small for Pytorvelikiy) Kommersant in 24-9-2008. Www. Kommersant.com / p.1030595 / r -527 / pytorvetikiy – unable – to enter – tarts/

5- Moscow to Deploys – 400 Defense Missile System to Khmeimim Airbase in Syria) RT in 25-11-2015 .https://www.rt.com / news / 323379-s400 Russia- Syria – air base

6- WWW.tcd.ie/Neu /Neuvoscience/neil

7- Ian H.Roberston (the Danger that Lurks inside Vladimir Putin's Brain Contempt is Key to putin's Troubling psychological profile) psychology today in 17/3/2014.https://www.Psychology Today.com

8- (Things you didn't know about Russian President Vladimir Putin) news.com.au in 5-3-2014.www.news.com.au/world europ/things-you-didn't-know.

9- Gaius Publish (Anew Crimean War? Vladimir Putin, Peter the Great and the Quest for a Warm- Water Port) America blog in 3/3/2014 America blog. Com /2014 / 03 / new – Crimean – war – Vladimir Putin – peter – great – warm .

10- DiveedGartenstein – Ross (The Islamic State's Anbar Offensive and Abu Umar - Shishani) WaronRocks. Com /2016 / 10 / the – Islamic- state's- anbar.

11- Luis Martinez (Russian Build-up Continues at in Syria, Causing Concern among US Officials) ABC News in 9-9-2015.abcnews.go.com/politics/Russian-build –up

Newspapers and Magazins:-

1- Andrew E. Kramer (Russia Warships Said to be going to Naval Base in Syria) the New York Times, New York, 18-6-2012 .

2- Henry Trofimenko (The Third World and theUS. Soviet Competition) Foreign Affairs, Councilor Foreign Relation, Washington D.C summer, 1981 .

3- Ian H.Robertson (Inside the mind of Vladimir Putin) the Telegraph Newspaper, Telegraph Media Group, London, 24-2-2015.

4- Joseph Burgo (Vladimir Putin, Narcissist?) The Atlantic, the Atlantic Monthly Group, Washington DC, 15-4-2014.

5- Joseph Stigliz (the Ruin of Russia) the Guardian Newspaper, London 9-4-2003.

6- Seth Mydans (20 Years after Soviet Fall, Some Look Back Longinly) Tthe New York Times, the New York Times Company, New York, 18-8-2011.

7- Vladimir Rodyuhin (Russian Navy launches massive upgrade Drive). The Hindu Newspaper, Hindu Group publisher, Chennai, Tamil nadu, India, 31/7/2012

8- With last Media Critics Blocked, Putin Silence the Russia Press- the Atlantic, the Atlantic Monthly Group, Washington DC, 15-3-2014.